خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

بَصِيرَةُ الْقُلُوبِ

د. مُطْلَقُ الْجَاسِرِ

إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد ...

معاشر المؤمنين، أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرُسل وأنزل الكُتب فيها أوامرهُ ونواهيه، أمرنا بأوامر مَنْ اتبعها أفلح، ونهانا عن نواهٍ مَنْ عصىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فيها هلك، وأمرنا بتقواه، ووصانا بذلك، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾[النساء:١٣١]، ومع ذلك إخواني مع وضوح أوامر الله سبحانه، ووضوح نواهيه إلا أنَّ الناس يتفاوتون في اتباع أوامرهِ واجتناب نواهيهِ.

يعلم الإنسان أحيانًا أنَّ هذا الأمر هو أمر الله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك لا يتبعهُ، ويعلم كذلك أنَّ هذا الأمر قد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه ومع ذلك يفعله، **لماذا يتفاوت الناس في ذلك؟ ما هي الأسباب وما هو العلاج؟**

إخواني الكرام، أرأيتم لو أنَّ رجلًا أمر بأمرٍ ونهىٰ عن نهي، وأعد لمَنْ أطاعهُ في أمرهِ أنواع الجوائز، وأعدّ لمَنْ أعرض عن أمرهِ واقتحم معصيته أنواع العقوبات، ثم أدخل أناسًا ليريهم بأعينهم جوائز الفائزين، رزم الأموال والذهب والفضة، ثم أراهم بأعينهم ما أعدّهُ لهم من أنواع العقوبات وأدوات التعذيب، والنيران المحرقة، **هل تعتقدون أنَّ هؤلاء الناس بعدما رأوا بأعينهم بأبصارهم جوائز الفائزين وعذاب الخاسرين، هل ترونهم سينكثون عن طاعة هذا الرجل؟ هل سيتأخرون عن طاعتهِ؟ هل سيجترؤون علىٰ معصيتهِ؟**

الجواب: لا، لأنهم رأوا بأعينهم وعلموا علم اليقين أنهُ قادرٌ علىٰ إيقاع هذه العقوبات عليهم، ورأوها بأعينهم، ورأوا بأعينهم كذلك جوائز الفائزين، وأنهُ قادرٌ علىٰ إعطائهم إياها، فلا أظن عاقلًا واحدًا يجترئ علىٰ عصيانهِ وعلىٰ ترك أوامرهِ، كيف لا ونحن نرىٰ الناس في الدنيا علىٰ أقل من ذلك، علىٰ حطامٍ من حطام الدنيا يضحون ويفعلون، ويقومون من لذيذ نومهم، ويتركون مرغوباتهم ومحبوباتهم حتىٰ يعطوا في آخر الشهر حفنةً من الأموال.

أعتقد أنَّ المعنىٰ قد وصل، اَلَّذِي يرىٰ ببصرهِ جوائز الفائزين، ويرىٰ ببصرهِ كذلك عقوبات المعتدين فإنَّ هذا سيكون في مقدمة الطائعين، هذا إذا كان يملك البصر، ولله عَزَّوَجَلَّ المثل الأعلىٰ، ولكن الفرق أنك تحتاجُ إلىٰ البصيرة اَلَّذِي رزقهُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ البصيرة حتىٰ كأنهُ رأي العين يرىٰ ما أعدّهُ الله عَزَّوَجَلَّ للطائعين، ويرىٰ ما أعدّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للعاصين، فسيكون في مقدمة المتقين.

❁ **لذلك جعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أوَل أوصاف أهل التقوىٰ الإيمانُ بالغيب**، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١-٢]، هذا القرآن يهدي المتقين فقط، أمَّا غير المتقين أمَّا المعرضون عنهُ فمع الأسف لن يكون هدًىٰ لهم، لن يستفيدوا منهُ، **مَنْ هؤلاء المتقون؟**

❁ **اَلَّذِين يستفيدون من هذا الكتاب أوَل صفاتهم اَلَّذِي يؤمنون بالغيب**، اَلَّذِين رزقوا البصيرة، فرأوا كأنهم يرون بأبصارهم ما أعدّهُ الله عَزَّوَجَلَّ لمَنْ أطاعهُ، وما أعدّهُ لمَنْ عصاه، وبقدِر ضعف بصيرة الإنسان يكون كسلهُ وعدمُ إقدامهِ علىٰ طاعة الله.

أمَّا البصر: فوسيلتهُ العين، **أمَّا البصيرة:** فوسيلتها القلب، البصيرة مصدرها قلب الإنسان، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لقلب الإنسانِ ما يشبه الزجاجة يرىٰ من خلالها، فإذا كانت صافيةً، نظيفةً، واضحةً، رأىٰ الأمور علىٰ حقيقتها، فإذا كانت متسخةً، تجمع عليها الغبار والقتر والران أعتم القلب، كالأعمىٰ اَلَّذِي يرىٰ سوادًا في عز النهار ويُشار لهُ إلىٰ الشمس، يُقال لهُ: انظر إلىٰ الشمس، فيقول: لا أرىٰ شيئًا؛ لأنهُ حُرِم البصر.

★ **أَمَّا الَّذِي حُرِم البصيرة:** فهو الَّذِي يرىٰ في قلبهِ مثل السواد، يُقال لهُ: انظر إلىٰ الشمس، انظر إلىٰ قال الله، إلىٰ قال رسولهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقول: ها! لا أرىٰ شيئًا، وقد ضرب الله عَزَّوَجَلَّ مثلًا عظيمًا يُجسِد هذا الأمر كأحسن ما أنْ ترىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[النور:٣٥].

﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾، **المشكاة** -إخواني الكرام- هي القوة، هي الفتحة أو الحفرة في الحائط، الروشنة النافذة في الحائط غير النافذة الَّتِي توضع عليها السُرج قديمًا تُسمَّىٰ المشكاة، وهذا مثلهُ مثل جسد المؤمن، هذه المشكاة فيها زجاجة، الزجاجةُ هي قلب المؤمن.

﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾، المصباح هو قلب المؤمن، هو قلبهُ، والناسُ يتفاوتون بين قلبٍ مضيء كالمصباح المضيء، وبين قلبٍ منطفئ كالمصباح المنطفئ، المصباح في زجاجة، كما تعلمون أنَّ السراج لهُ زجاج هذا الزجاج -إخواني الكرام- الَّذِي إذا أضأت المصباح أنار تتفاوت إنارتهُ بحسب صفاءِ هذه الزجاجة، ﴿**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾، هذا المؤمن من صفاءِ زجاجهِ، من صفاء مصباحهِ كأنهُ كوكبٌ دري يتلامع، يتلألأ، ﴿**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾[النور:٣٥].

زيت هذا المصباح هو الفطرة الَّتِي أودعها الله في قلبك، يحتاج هذا الزيت أنْ يُضاء بنور الوحي، إذا اجتمع زيتُ الفطرة الصافي النقي مع نور الوحي القرآن والسُنَّة أضاء المصباح كأحسن ما أنْ ترىٰ، فإذا اجتمع مع ذلك صفاء الزجاجة أشرق القلب وأنار، فتجدُ الإنسان في هذه الحالة منشرح الصدر، يسطع هذا النور علىٰ جوارحِهِ فيُقبل علىٰ الصلاة بحب ورغبة، يقبل علىٰ تلاوة القرآن بحبٍ ورغبة، يقبل علىٰ الطاعات بحبٍ ورغبة، حتىٰ إذا أتىٰ يوم القيامة يخرجُ هذا النور، والَّذِي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[التحريم:٨].

يسطع هذا النور يوم القيامة ليضيء لك ممشاك يوم القيامة، فبقدر سطوع هذا النور في قلبك في الدنيا يكون سطوعهُ يوم القيامة ليكون بين يديك تسعىٰ علىٰ نورٍ من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

هذا المثل العظيم – إخواني الكرام– هو مثل القلب الَّذِي أودعهُ الله عَزَّوَجَلَّ في صدرِ كل إنسان، وبقدر صفائهِ ووضوحهِ يتشجع للعبادات، ويبتعد عن المعاصي، وبقدر الران الَّذِي يتجمع عليهِ يكسل عن العبادات، فنسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنْ يصفي قلوبنا، وأنْ يرزقنا من نورهِ عَزَّوَجَلَّ، وأنْ يعيننا وإياكم علىٰ ذكرهِ وشكرهِ وحسن عبادتهِ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنهُ هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ...

۞ معشر الأحبة، هذا المصباح اَلَّذِي نحملهُ في صدورنا أمانة، أمانةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ يتعرض بشكلٍ يومي إلىٰ أوساخ، هذه الأوساخ إذا أعرض عنها الإنسان وأهملها تجمعت وشكلّت طبقات تُسمَّىٰ الران اَلَّذِي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهُ في كتابهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]، لا يأتيك الران إلا من كسبك.

فإذا تجمع السواد علىٰ السواد، شُكلَت طبقة علىٰ هذه الزجاجة، وكلما ازداد هذا السوادُ ازدادت سماكتها، وخفت النور اَلَّذِي يخرجُ من هذا القلب، فلا يضيء علىٰ جوارحك بشيء.

فقد روىٰ الإمام مسلمٌ في صحيحهِ عن حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ- أنَّ النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « **تُعرَضُ الفِتَنُ علىٰ القُلوبِ كعَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا**»، أرأيتم الحصير إذا فللتم خيوطه كيف تتساقط أعوادهُ واحدًا تلو الآخر! « **تُعرَضُ الفِتَنُ علىٰ القُلوبِ كعَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّما قلبٍ أُشْرِبَها**»، **أشربها**: أي: جرىٰ وراء هذه الفتنة، وعمل هذه المعصية « **نُكِتَتْ في قلبهِ نُكتةٌ سَوداءُ**»، يتسخ هذا القلب بنكتةٍ سوداء علىٰ حسب حجم هذه المعصية.

«**وأيما قلبٍ ردها نُكت في قلبهِ نكتةٌ بيضاء**»؛ تنظف القلب، «**حتىٰ تصير قلوب العباد بين قلبين قلبٌ أبيض صافٍ، وقلبٌ أسود مرباد**» أي: شديد السواد، «**كالكُوزِ مُجَخِّيًا**»، **الكوز**: هو الكوب، **والمجخي**: هو المنقلب علىٰ وجههِ اَلَّذِي وضعت فتحتهُ في الأرض، أرأيتم كوكبًا قلبتهُ علىٰ الطاولة، ثم سكبت عليهِ البحار السبع، هل ستدخل فيهِ قطرة؟ لا تدخل فيهِ قطرة؛ لأنهُ مقلوب.

☼ **هذا السواد إذا تزايد في القلب قلبهُ، وجعل الفتحة اَلَّتِي ينبغي أنْ تُصب فيها الخيرات في الأسفل**؛ «**كالكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعرِفُ مَعروفًا، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه**»، يكون هواه هو القائد له، انظروا إلىٰ هذا المثل العظيم.

★ **إذًا -إخواني- هذا القلب اَلَّذِي نحملهُ أمانة**، إذا حرصت عليهِ، بعض الناس يحرص علىٰ سيارتهِ أكثر من حرصهِ علىٰ قلبهِ، لا يفوت صيانتها، ويغسلها كل يوم، ويتأزم نفسيًا إذا وجد علىٰ سيارتهِ غبار، بل يكاد لا يركبها حتىٰ تُنظَف بشكلٍ يومي، ويدفع علىٰ ذلك الأموال، ويزينها ويعطرها، ويصلحها، أمَّا قلبهُ فلا يعتني فيهِ ربع هذه العناية.

تجد قلبهُ تراكمت عليهِ تلك الأوساخ، ولا يعتني بهِ، يحملهُ في صدرهِ ويمضي في هذه الحياة خاليًا من نور الله، إذا أصابتهُ مصيبة لا يجد من النور ما يخففها عليهِ، لا يجد من النور ما يعينهُ علىٰ أنْ يتعبد الله، مع مَنْ يتعبد ويتلذذ مع مَنْ يتلذذ حارم نفسه المسكين من لذائذ الدنيا، اَلَّتِي قال عنها شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اَللَّهُ-: (**إنَّ في الدنيا جنة مَنْ لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة**).

لا يُعالج قلبه، لا ينظفه، فهذا قد حرم نفسهُ وخان أمانتهُ الَّتِي أعطاهُ الله عَزَّوَجَلَّ إياها، **هذا القلب -إخواني- يحتاج منَّا إلىٰ مجاهدةٍ يومية، يومية بأمرين اثنين:**

❁ **الأوَل**: صيانتهُ قدر المستطاع عن المعاصي، والفرار عن كل ما يدنسهُ.

❁ **والأمر الثاني**: التوبة الدائمة والاستغفار المستمر، والتنظيف الدائم لهذا القلب.

وأنت وهمتك فالشيطانُ لا يفتر، فإذا فترت غُلبت، فعليك أنْ تعتقد وأنْ توقن أنك في جهادٍ مستمر هو أعظم أنواع الجهاد، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يعيننا علىٰ أنفسنا، وأنْ يطهر قلوبنا، وأنْ يرزقنا من نورهِ إنهُ ولي ذلك والقادر عليهِ.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا علىٰ القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًا إلا فرّجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا مدينًا إلا قضيت عنهُ يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

۞ عباد الله، ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه علىٰ نعمهِ يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.